اضطهاد مسلمي الأندلس (الموريسكيين– Moriscos)
في عهد شارل الأول (كارلوس الخامس) ١٥١٦- ١٥٥٦

الأستاذ الدكتورة
الهام محمود كاظم
جامعة الكوفة – كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

الأستاذ الدكتور
مشتاق بشير الغزالي
جامعة الكوفة – كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

م.باحث
نور حسين

اضطهاد مسلمي الأندلس (الموريسكيين- Moriscos) في عهد شارل الأول (كارلوس الخامس) ١٥١٦- ١٥٥٦

الأستاذ الدكتور
مشتاق بشير الغزالي
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات - قسم التاريخ

الأستاذ الدكتورة
الهام محمود كاظم
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات - قسم التاريخ

م.باحث
نور حسين

تمهيد

مرت الدولة الإسلامية في غرناطة خلال القرن الخامس عشر الميلادي بأحداث سياسية جعلت المحافظة على وجودها الذي دام قرابة قرنين ونصف من الزمان (١٢٣٧- ١٤٩٢م) صعبا لاسيما المعاهدات التي لجأ إليها الأسبان عندما فشلت محاولاتهم العسكرية للسيطرة على الأقاليم الإسلامية في غرناطة من جهة والمنافسة بين الطامعين في حكم البلاد والتمرد على السلطة من جهة ثانية ومطالبة المعارضين للسلطة مساعدة مملكة قشتالة (النصارى) لهم للحصول على العرش من جهة ثالثة.

وكان للموقع الجغرافي اثر واضح في علاقة السلطنة بالمناطق المجاورة إذ تحدها من الشمال قشتالة ومن الغرب البرتغال ومن الجنوب دولة بني مرين المغربية ومن الشرق اراغوان ، والتي أثرت بشكل أو بأخر على سياستها الخارجية . وهذا ما لوحظ على تاريخ مملكة غرناطة للمدة مابين (١٤٨٥- ١٤٩٢) إثر تنازل أبو الحسن علي عن العرش لسوء صحته لأخيه محمد أبو الزغل الذي نال التأييد الشعبي وتوحدت الدولة بسلطان واحد . وبعد إطلاق سراح أبو عبد الله الصغير من الأسر الأسباني (تم أسره عام ١٤٨٣ بعد إعلانه الحرب على الأسبان) اتجه إلى حي البيازين فبايعه أهلها لتولي الحكم بدلا من محمد الزغل لأن الأول واعدهم على عقد الصلح مع الأسبان لتحقيق الأمن والاستقرار للبلاد ، وبذلك بدأت حرب

أهلية بين الطرفين استمرت حوالي شهرين انتهت بعقد صلح بين الطرفين وتشكيل وحدة لمواجهه الأسبان الذين حاولوا مرارا تحريض طرف ضد الآخر وهذا ماحصل عام ١٤٨٦عندما حرض الأسبان أبو عبد الله ضد عمه ابر الزغل وكانت النتيجة تقسيم المملكة بينهما ، يتسلم الأول حي البيازين وما جاورها حتى إقليم مرسية والثاني يتولى حكم منطقة ملقه والمرية والمنكب والبشرات ، ولكن هذا التقسيم لم يروق لحاكم قشتالة إذ أراد النصارى للحرب الأهلية أن تستمر مدة أطول .وأثناء الهجوم الاسباني على منطقة لوشة أعلن أبو عبد الله دفاعه عنها فوقع في الأسر مرة ثانية وأصبح أبو الزغل حاكما لغرناطة من جديد . ومما زاد في إشعال الفتنة إطلاق سراح أبو عبد الله الصغير بعد عقده اتفاقية مع الأسبان بتزويده بالذخائر لمواجهة عمه الزغل .وبذلك ارتقى أبو عبد الله عرش غرناطة مرة أخرى رغم عدم قناعة أهلها الذين وصفوه بالمتخاذل . يمكن توضيح الصراع العنيف بين النصارى ومسلمي الأندلس (الموريسكيين) في أسبانيا بتصنيفها إلى مرحلتين تاريخيتين تمثل الأولى(١٤٩٢-١٥٢٠) النهاية الرسمية لسياسة التسامح التي كانت موجودة في العصور الوسطى منذ السقوط وحتى بداية عهد الملك شارل الأول ، والثانية (١٥٢٠-١٥٥٦م) التي تمثل خيبة الآمال في إيجاد تفاهم متبادل بين الفئتين واضطهاد مستمر تجاه الموريسكيين لاسيما بعد أن أصبح الملك شارل الأول إمبراطورا باسم (شارل الخامس) ما أدى إلى انفراد الكاثوليكية بالنفوذ في أسبانيا في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وقبل التطرق إلى ذلك ارتأينا إعطاء لمحة موجزة عن معنى الموريسكيين.

الموريسكيين(Moriscos):-

استخدم هذا الاصطلاح لأول مرة لتسمية مسلمي غرناطة بعد سقوطها بيد الملكان الكاثوليكيان إيزابيلا وفرديناند عام ١٤٩٢م الذين اجبروا على اعتناق المسيحية كرها . وعرف المسلمون الذين اجبروا على التنصر[١] باسم (النصارى الجدد) تميزا لهم عن النصارى الآخرين ، وظل هذا الاسم مستخدما حتى حوالي منتصف القرن السادس عشر ، حيث أطلق على المنصرين المسلمين اسم الموريسكيون ، ويعني هذا الاسم باللغة الاسبانية **(Moriscos)** تصغير للفظ مورو (moro) ويقصد بها التحقير والإساءة ، وفي بعض الأحيان تعني (مسلم عربي ، أو مغربي لاسيما من يقطن موريتانيا وطنجة ، كما إن ترجمة كلمة **(Moriscos)** تعني المسلمين المنبوذين[٢] . ومن خلال ذلك تم التوصل إلى إن المعنى العام لتعريف الموريسكيين(هم المسلمين الذين تنصروا إجباريا

وكرها من اجل اعتناق المسيحية ولذلك أطلق عليهم النصارى الجدد) .

أ- أوضاع الموريسكيين في عهد الملكين إيزابيلا وفرديناند (١٤٩٢- ١٥١٦):

بعد الاستيلاء على غرناطة والقضاء على أخر دولة إسلامية في الأندلس عام ١٤٩٢م ، صدرت الأوامر بتعميم مضمون معاهدة التسليم على الأمراء والوزراء والقادة والرهبان والرعية، وأُصدر مرسومٌ يهدد كل من يجرؤ على المساس بما تضمنته هذه المعاهدة، وقد ذيل هذا المرسوم بتوقيع الملكين، وحشد كبير من الأمراء وإشراف الدولة وأحبارها وأدى الملك فرديناند والملكة إيزابيلا وسائر من حرروا الشروط القسم بدينهم وأعراضهم، أن يصونوا المعاهدة إلى الأبد، وعلى الصورة التي انتهت إليها[٣] .

لقد احتوت المعاهدة على بنود كفلت بموجبها حرية المسلمين ولغتهم وشعائرهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم ، باستثناء حملهم للأسلحة[٤] .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل التزم الملوك الأسبان بما تعاهدوا عليه مع المسلمين ؟

لم يلتزم الملكين الكاثوليكيين بما ورد في المعاهدة ، إذ سرعان ما نقضوا مواثيقهم وأظهروا تعصبهم ضد المسلمين عقب دخولهم غرناطة ، وهذا ما يؤكده المقري بقوله :

" **إن النصارى نكثوا العهد ، ونقضوا الشروط عروة عروة ، إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعة مئة** " [٥] .

قام الملكين الكاثوليكيين بتقسيم السلطة في غرناطة إلى ثلاثة أشخاص من الرسميين ليقوموا بإدارة مملكة غرناطة[٦]، وهم :-

*الكاردينال (فيرناندو دي تالافيرا)[٧](Hernando de Talavera) وعهدت إليه بإدارة السلطة المدنية .

* إما الكونت (دي تانديلا) (De Tandela)عهدت إليه بالقيادة العامة العسكرية، وضمت إليهما سكرتيرهما .

*(فرناندو دي ثافرا)(Fernando de Thafra) ، الذي تولى وضع شروط المعاهدة، وعهدت إليه بان يكون مستشارا مكلفا بالتنسيق ، وتوضيح كل مايشار من اعتراضات ومشاكل حول تفسير بنود المعاهدة[٨] .

وهذا لايعني إن الملكين بعيدين عن إدارة شؤون مدينة غرناطة ، بل كانت تدار ضمن توجيهما إلى النواب عنهم، لاسيما وإن سياسة هؤلاء المندوبين كانت في أول الأمر سياسة متسامحة ومتساهلة مع المسلمين من اجل إن يعم الاستقرار في غرناطة[٩].

وتجدر الإشارة إن المسلم والنصراني كان يتعايشان منذ زمن طويل في أسبانيا ، لكن منذ ٢ كانون الثاني ١٤٩٢م وهو تاريخ دخول الملكين الكاثوليكيين غرناطة ، أصبح المسلم في

أي مكان من أسبانيا مهزوماً وإن كان الظاهر من الناحية القانونية مازال يتمتع بنفس حقوق المواطنة إذ يمكن الحديث عن معايشة بين جماعتين . لكنه في الحياة الواقعية العامة بدأ ضغط وقهر المتنصرين يشتد يوماً بعد يوم ، حتى وصل التفكير بإنهاء وجودهم ، أما النصوص القانونية التي عكست بتسامحها ميراث المعايشة السلمية والاحترام المتبادل فقد انتهكت يوماً بعد يوم بمعارضة صماء من الجماعتين اللتين كانتا تبحثان عن أي فرصة للتصرف بعنف(١٠).

حاول كل من الملك فرديناند والملكة إيزابيلا ، السعي لإغراء المسلمين على مغادرة مملكة غرناطة ، وتطبيق ما نصت عليه المادة السابعة من معاهدة التسليم، على السماح للأشخاص الذين يرغبون في العبور إلى المغرب(١١)، وعملت على تسهيل مهمتهم بتوفير السفن لنقلهم مجانا خلال السنوات الثلاثة الأولى ، فأول من هاجر أهل مالقة الذين نزحوا إلى باديس(١٢) ، وخرج أهل المرية ونزلوا مدينة تلمسان، ونزل أهل الجزيرة الخضراء في طنجة، واستقر أهل رندة وبسطة وحصن مرتيل في تطوان وأحوازها وهاجر أهل دانية إلى تونس والقيروان والجزائر(١٣).

وخرج أهل لوشة وبعض سكان غرناطة وأهل مرشانة وسكنوا بين مضارب قبيلة غمارة، ونزل أهل برجة وأندرش ما بين طنجة وتطوان، ونزل أهل مدينة شريش ويليش مدينة سلا، وخرج ما بقي من أهل غرناطة ونزلوا بجاية ووهران وسوسة وسفاقس وقابس، وخرج أهل القلعة إلى مدينة أغادير، وهناك آخرون من سكان الأندلس استقروا في الإسكندرية وغيرها من مدن المشرق ، لذلك فقد عبر إلى شمال إفريقيا نحو ستة ألاف مسلم حسب تقدير وليم برسكوت(١٤).

تشير هذه الموجة الكبيرة من الهجرة إلى عدم ركون بعض العرب في غرناطة إلى المواثيق التي تعهد بها في معاهده التسليم ، ومع ذلك فقد بقى في البلاد عدد كبير من المسلمين الذين خدعوا بالوعود ، واطمأنوا إلى سياسة الاعتدال النسبية التي مارسها الملكين فرديناند وإيزابيلا في السنوات الأولى التي أعقبت تسليم غرناطة ، بعد إن اشتروا أملاك الراحلين بأبخس الأثمان(١٥).

لم يستمر هذا الهدوء سوى سبع سنوات ، توضحت بعدها حقيقة سياسة الأسبان ونواياهم إزاء العرب المسلمين المقيمين في غرناطة والمناطق الأخرى ، تمثل ذلك في عدم احترامهم لشروط المعاهدة ونقضهم لبنودها الواحد بعد الآخر، فكان أبرز ماعملوه هو السعي لتحويل المسلمين إلى رعايا مسيحيين مستخدمين في ذلك وسائل عده تمثل خروج واضح عن بنود المعاهدة وما يجب أن يلتزموا به تجاه المسلمين(١٦).

حاول أهل غرناطة التأقلم مع الوضع الجديد ،على الرغم من المضايقات التي ابتدأت منذ دخول الأسبان إلى المدينة ، إذ سيطر الأسبان على مساحات واسعة من الأراضي والأملاك التي كانت للاندلسين الذين أصبحوا بعد ذلك أتباعا لهؤلاء السادة الجدد ، ثم فرضت عليهم الضرائب ومنعوا من أداء شعائرهم الدينية ، وبذلت محاولات مستمرة لإقناعهم بالتخلي عن عقيدتهم وقطع صلاتهم بتاريخهم وحضارتهم ، واستعملت ضدهم أبشع أساليب البطش والتعذيب التي ابتدأت بمزاحمة الأسبان لأهل غرناطة على الأرض ثم على لقمة العيش وأخيرا على الدين والتاريخ واللغة[١٧] .

هذه السياسة لم تمارس في السنوات الأولى ، ويبدو إن السبب في ذلك يعود إلى الخشية من ردود أفعال المسلمين، لاسيما وان الأمن لم يكن قد استتب بعد في المناطق التي سيطروا عليها ، كما إن السلاح لم ينتزع من أهالي غرناطة وما حولها ، ولذلك لم تظهر النوايا الحقيقية في سياستهم تجاه المسلمين في غرناطة إلا لاحقاً .

بدأت السلطة الاسبانية بإتباع سياسة التنصير ضد المسلمين ، بل اشتركت معها رغبة الكنيسة الكاثوليكية التي ضغطت وبشدة من اجل أن تمارس هذه السياسة ، لاسيما وان الجو العام السائد آنذاك كان باتجاه إعلان العداء والحرب الصليبية على كل ما يمثل الإسلام باعتباره منافساً للمسيحية[١٨].

بدأت الملكة إيزابيلا بتطبيق سياستها ، عندما نشرت في غرناطة بتاريخ٣٠ آذار ١٤٩٢م، أمراً يوجب على اليهود الخروج من الأراضي التابعة لتاج قشتالة[١٩] ، خلال مدة ثلاث أشهر تحت عقوبة الإعدام ، ومصادرة الأموال ، وقدر عدد اليهود الذين اخرجوا من اسبانيا،على أثر تطبيق هذا الأمر حوالي (٤٠٠) ألف شخص توجه معظمهم إلى أفريقيا[٢٠].

ومن أول الخطوات التي رسمتها الملكة إيزابيلا المتعصبة من أجل تنفيذ سياسة التنصير ألقسري للمسلمين، أنها اعتمدت على مجموعة من الأساقفة والرهبان، ومنحتهم مناصب في البلاط الملكي ، وفي مقدمتهم فرانسيسكو خمينيس دي ثيسنيروس[٢١] (Francisco Jimenez de Cisneros) الذي عينته أسقفا على طليطلة من أجل تنفيذ مشروعها في تنصير المسلمين والقضاء عليهم .

سعى خمينيس لدى الملكة لتعين القس ديجو دي ديسا[٢٢](Diego daze) محققا عاماً، فاستجابت الملكة لطلبه ، وفي عام ١٤٩٩ أصدر أمر ملكي بتعين خمينيس أسقفاً على غرناطة وهو مزود بتفويض من المحقق العام ديسا بتوليه أمر المسلمين فيها ، لاسيما بعد أن

تبين للسلطة مدى إصرار المسلمين على التمسك بعروبتهم ودينهم(٢٣).

ازدادت حالة المسلمين سوءاً في غرناطة بعد وصول خمينيس كرئيس لأسقف غرناطة ، ليكون مسئولا مباشراً عن الجماعات التبشيرية التي تعمل على تنصير المسلمين، فقد اتبع في محاولاته في أول الأمر أسلوب اللين والإغراء ، إذا بدأ بتوزيع الألبسة الحريرية على المتنصرين وأمر بجمع فقهاء المدينة ودعاهم إلى اعتناق المسيحية ، وحاول إغرائهم بالهدايا والتحف ثم أستعمل طريقة الوعد والوعيد بعد إن فشلت جميع محاولاته في حملهم على التنصير بالطريقة السلمية(٢٤).

التنصير الإجباري :

لم يتأثر بهذا الأسلوب سوى جماعات ضئيلة جداً من أهل غرناطة ، بينما ظل الباقون على موقفهم ، الأمر الذي زاد من غضب خمينيس وإصراره على تحويلهم جميعاً إلى المسيحية ، لكنه وجد إن من المستحيل تنفيذ هذا الأمر دون قطع ارتباط المسلمين بحضارتهم(٢٥) .

لذلك أمر خمينيس رجاله في عام ١٤٩٩م بالطواف على أهل المدينة لتسليم ما لديهم من مخطوطات عربية ومصاحف وكذلك الكتب العربية(٢٦)، ولما تم جمعها في ساحة باب الرملة، أشعل النار فيها جميعاً ، بعد عزله لكتب الطب والكيمياء والرياضيات التي نقلها إلى مكتبة المدينة(٢٧) .

حذر كل من الكونت تنديا وتلافيرا خمينيس وأبلغوه بأنه يقوم بعمل يثير الاشمئزاز والرعب، وانه تمادى في موقفه ضد المسلمين وذكروه بمعاهدة التسليم ، وأبلغوه إن هؤلاء الذين يعمل على تنصيرهم بالإكراه لايمكن إن يكونوا مسيحيين حقيقيين ، لكن الوضع ازداد سوءا بإصرار خمينيس ورجاله على ممارسه أعمالهم في اضطهاد المسلمين وحملهم على التنصر بالإكراه(٢٨) .

اندفع خمينيس ورجاله في تطبيق سياستهم لتنصير المسلمين ، فقد قاموا بشن حملات لمصادرة أملاك المسلمين ومنعوا من التكلم باللغة العربية ، وكذلك منع ارتداء الزي العربي والتردد إلى الحمامات ، وإجبارهم على فتح أبواب منازلهم أيام حفلات الجمعة والسبت، وعدم التسمية بأسماء عربية كما حولت جميع المساجد إلى كنائس ، ومنع عليهم حمل السلاح ، كما فرض عليهم العيش في إحياء خاصة. (٢٩).

قصد خمينيس من تطبيق هذه السياسة والإجراءات التعسفية ضد المسلمين من اجل تنصيرهم، إلا إن ما قام به من أفعال خلق جواً مشحوناً بالتوتر بين أهالي غرناطة ، الذين رأوا في الدخان المتصاعد من حرق هذه الذخائر الثمينة تحذيراً مما ستحمله لهم الأيام القادمة.

لقد عاشت غرناطة وأهلها مرحلة من القلق والتوتر ، فنتيجة أفعال خمينيس ورجاله القاسية بحق المسلمين ، كان من الطبيعي في مثل هذه الظروف أن تبدأ بوادر التفكير بالثورة كرد فعل لتلك الأفعال الشنيعة فكانت ثورة البيازين عام ١٤٩٩ أولى تلك الثورات التي قام بها المسلمين تعبيراً عن رفضهم لسياسة خمينيس ورجاله ، والتي أعقبتها ثورات لاحقة :-

أ- ثورة البيازين عام ١٤٩٩م :

عانى المسلمون نتيجة نقض الكاردينال خمينيس لعهودهم ومواثيقهم ، وتطبيق سياسة الاضطهاد بحقهم، جاءت الشرارة الأولى لتشعل الثورة ، عندما قام مفوض شرطة اسباني اسمه بلاسكوي باربو نويفو (Biskua Barbie Nuevo) دخول حي البيازين في ١٨ كانون الأول عام ١٤٩٩م،للقبض على إحدى النساء المسلمات[٣٠]، وكانت هذه ألسيده ابنة رجل سبق له إن اعتنق الإسلام ومتزوجة من رجل مسلم ، وأصبح لها بنون وبنات منه ، فطرق المفوض الباب، فقبض عليها وعلى أولادها وساقوهم جميعا بالقوة والإكراه إلى السجن ، فتجمع المسلمين حول هذا المشهد المؤلم الذي لم يعرفوه من قبل ، فانطلقت استغاثة المرأة طالبه من إخوانها حمايتها من هذا الاعتداء[٣١] .

تدخل المسلمين محاولين إجبار المفوض وصاحبه على ترك المرأة وأولادها ، لأنها لم ترتكب جرماً ، لكن الأخير رد عليهم ردا عنيفا وهددهم إذا تدخلوا في الأمر ، مما أدى إلى حدوث مشادة بين الطرفين ، حتى قام احد المسلمين فرمى المفوض بحجر فقتله وهرب صاحبه، وعلى اثر ذلك انطلق الناس يتنادون على حمل السلاح من اجل الحفاظ على دينهم وحريتهم ، وسيطروا على أبراج حي البيازين والقصبة ، وقبل أن يعرف القائد العام دي تانديلا ما حدث في البيازين ، كان المسلمون قد سيطروا على الموقف في منطقتهم[٣٢].

فتجمع رجالها يتدارسون الخطوة التالية قبل إن يداهمهم رجال خمينيس ، فاستقر الرأي على إن يتوجه فريق من أهل غرناطة إلى قصر الحمراء حيث ينزل خمينيس من اجل القضاء عليه وعلى مساعديه، بينما يقوم الآخرون بجمع الرجال والسلاح وتحصين البيازين استعداداً لقتال جنود قشتالة[٣٣].

وصل خبر تفاصيل الواقعة إلى خمينيس وهو في الحمراء وأمر أتباعه بإغلاق البوابات، وبعث على أثره إلى حاكم مدينة غرناطة الكونت تنديا يطلب منه الحضور فورا مع جنوده مستغلاً احترام المسلمين للحاكم ، وحين وصل الأخير مع جنوده وجد أهل البيازين أحاطوا الحمراء، فأنشدهم الهدوء والعودة إلى مناطقهم ، ووعدهم بحل مشاكلهم[٣٤]، وبعد إن تشاور الأهالي فيما

بينهم قرروا إعطاء ثقتهم للحاكم وافقوا بالعودة إلى حيهم وانتظار ما ستؤول إليه الأمور[٣٥].

سعى تنديا بعد لقاءه خمينيس إلى تأمين الحمراء ، وبعدها اتجه مع عدد من الجنود إلى البيازين ، فاخترق جمعهم ورمى قبعته في الهواء إشارة إلى انه جاء مسالماً ، فأستقبله السكان ورحبوا به، فشرحوا له مطالبيهم ومظالمهم مؤكدين استعدادهم للقتال إن لم تنصفهم الملكة إيزابيلا وتأمر خمينيس بالتوقف عن محاولاته في تنصير المسلمين ، فوعدهم الحاكم بنقل وجهة نظرهم إلى الملكة ، وغادر غرناطة على الفور متوجها إلى مقر إيزابيلا في اشبيلية ، وكان أهل البيازين في انتظار نتائج هذه المفاوضات مع الملكة[٣٦].

نقل الكونت تنديا للملكة تطورات الأحداث في غرناطة وحمل الكاردينال السبب ، فاستدعته إيزابيلا وطلبت شرح سبب تأخره على إعلامها بما حدث، وتذرع خمينيس بأنه بعث إليها رسالة لكن العبد لم يوصلها لأنه أضاعها في الطريق ، إما سلوكه مع أهل غرناطة فقد برر ذلك بأن المسلمين لايستطيعون البقاء في وسط كاثوليكي لذلك يجب تنصريهم او تهجيرهم[٣٧].

زادت قناعة الملكة إيزابيلا برأي خمينيس بأن إتباع سياسة اللين مع أهل غرناطة بعد انتفاضتهم لن يؤدي إلا لانتفاضة اكبر ، وانتهت الجلسة بالحل الذي ارتأته إيزابيلا وهو أما أن يتنصر أهل غرناطة وأما أن يتركوها، وأقنعت الملك بذلك ، وانصاع تنديا إلى رأي الملكة خشية من أن يؤدي تعاطفه مع المسلمين إلى مصادرة أملاكه ، واستبقى الملكان خمينيس في اشبيلية،عاد تنديا إلى البيازين بخيار التنصر أو الرحيل ، فتعالت روح الثورة والتمرد لدى المسلمين ، وأصيبوا بخيبة أمل من جراء إصرار الملكين على عدم قبول الاتفاق[٣٨] .

أصدر فرديناند وإيزابيلا عام ١٤٩٩م مرسوماً ملكيا للقضاء نهائيا على المسلمين[٣٩]، عن طريق التعذيب والاضطهاد ولكل من لم يلتزم بتعاليمهما ، والتنكيل بالمسلمين واجتثاث كل عقيدة مخالفة لعقيدتهم المسيحية الكاثوليكية وأمر بضرورة خضوع من لم يهاجر إلى أوامر الكنيسة وإغلاق المساجد، فلم يبقى أمام المسلمين سوى اللجوء إلى الجبال بحثا عن مأوى لهم ، ولكن النقمة لم تخمد لأنها كانت على وشك الاندلاع في شكل ثورة عارمة أخرى[٤٠].

انتشرت أنباء ما حدث في اشبيلية ، والقرار الذي اتخذته إيزابيلا فيما يتعلق بمسلمي غرناطة ، فقد اصدر الملكين الكاثوليكيين بعد ثورة حي البيازين مرسوما يقضي بمنع أي مسلم من الدخول إلى غرناطة ، لمنعهم من الاختلاط بمسلمي المدينة ، وخوفا من تشجيعهم وبث روح الحماس والجهاد في نفوسهم ، كما اصدر مرسوما آخر منع بموجبه المسلمين من ممارسة

كل ما يمت إلى لغتهم وعقيدتهم بصلة وبعد ثلاثة أيام أستسلم الثائرون مقابل عفو يخص كل من تتصر.

ب - الثـــورة فـــي جبـــل البوشـــارات (1499-1500) (Alpujarras) :

أخذ الأسبان بعد ثوره البيازين يعمدون المسلمون وأبنائهم بالقوة،لذلك وجد المسلمين أنفسهم في وضع كانت فيه فرص الاختيار ضئيلة[٤١] ، فرضخ معظم سكانها لقرار ملكي قشتالة ،بينما ترك البعض المدينة والتحقوا بإخوانهم في جبال البوشارات الواقعة في جنوب غرناطة[٤٢].

أنضم مسلمي غرناطة إلى المنفيين في البوشارات في أواخر عام ١٤٩٩م واتخذوا من مدينة قولجر الحصينة الواقعة في سفح جبل الثلج قاعدة لهم، ومنها قاموا بشن الهجمات على الحاميات النصرانية في مرج غرناطة ، وكان الثائرون يزدادون حماسة كلما حققوا نصرا وأوقعوا الهزيمة بالحاميات الاسبانية ، مما شجع عزيمة أهل غرناطة والمناطق الأخرى ، ودفع بهم الانضمام إلى الثائرين وتكوين جبهة متحدة ضد الأسبان[٤٣].وبذلك اندلعت في ١٨كانون الأول عام ١٤٩٩م الثورة في جبل البوشارات ، واستجاب لها سكان المناطق الأخرى في مملكة غرناطة،استفاد سكان مدن وقرى البوشارات من وعورة المناطق التي يعيشون فيها ،فاخذوا يقومون بتحصين قراهم ومدنهم ، حتى يكونوا بمأمن أكثر[٤٤] . نجح الثوار في شن الغارات على المناطق التي يسكنها القشتاليون ، ووصلت أنباء اندلاع الثورة إلى الملكة إيزابيلا ، فكلفت من أجل إخماد الثورة الكونت تنديا وغونثاليو القرطبي[٤٥] (Gonzalo Cordovan) .

جمع تنديا قوات كبيرة وسار بها من اجل مهاجمة مركز المنفيين في قولجر ، فعلى الرغم من صعوبة المسالك ووعورتها إلا انه استطاع الوصول لها، وعندما علم الثائرون بوصول الجيش الاسباني ، قاموا بفتح اقنية المياه على الأرض ولم تعد تستطيع الخيل الحركة ، ونشبت معركة عنيفة بينهم تكبد فيها الأسبان خسائر فادحة ،لكن بعد هذا القتال الطويل اضطر المسلمين إلى التراجع والانسحاب بسبب قلة الرجال والأسلحة[٤٦].

دخل الجيش الاسباني إلى المدينة ، وقتلوا جميع من فيها من نساء وأطفال وشيوخ ، إما قادة الثورة رفضوا الاستسلام واعتصموا في قلعة قولجر ، ودافعوا دفاعا مستميداً وردوا جميع الهجمات التي شنت عليهم ، بقى الحال على هذا الوضع حتى اضطرهم الجوع والعطش إلى مفاوضة الكونت تنديا لإنقاذهم من الهلاك ، وكل ما حصلوا عليه هو ضمان لحياتهم فأسترقهم الأسبان[٤٧].

عمل القادة الغرناطيون على إشعال الثورة من جديد ، وتحريك نفوس رجال البوشارات ، وأقنعوهم بان السكوت على الضغط الذي يمارسه الأسبان وعلى الخرق المستمر لمعاهدة غرناطة سيشجعهم على التمادي أكثر وإجبار أهلها والمناطق الأخرى على التنصر كما فعلوه في غرناطة[٤٨] .

أعلنت الثورة من جديد في البوشارات عام ١٥٠٠م، واستولى القادة ورجال الثورة بقيادة إبراهيم بن أمين على العديد من الحصون الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط وهي (ادرا، كاستل فيروه، وبونيول[٤٩])، وعلى الفور أرسل الملكين الكاثوليكيين تنديا تحت قيادة (٥٠٠٠) رجل ،من اجل إيقاف المسلمين من السيطرة على العديد من المناطق مما يصعب الأمور ويصعب ردعهم[٥٠] .

اتضح بعد شهرين من القتال أن القرطبي وتنديا لايستطيعان وحدهما قمع ثورة البوشارات ، لذلك ناشدوا الملك فرديناند بالتدخل ، وفي عام ١٥٠٠م تسلم فرديناند دفة القتال وتوجه مع جيش كبير إلى البوشارات ، فأحتل عددا من القرى ، والحصون منها وادي لكوين ، لوشار وأندرش واستمر الأخير يتقدم ويقضي على تجمعات الثوار الرئيسة ، وبعد شهر من إخضاعها وأخذ الكثير منهم كرهائن ونسفت مساجدهم وقتلوا نساءهم وأطفالهم وأخيراً وضع المسلمون المغلوبين على أمرهم أمام أحد الخيارين أما التنصير ألقسري أو تهجير خارج أسبانيا[٥١].

ونتج عن هذه الأحداث تحويل مسجد غرناطة إلى كنيسة وكذلك مسجد البيازين إلى كنيسة ومدرسة سميت(مدرسة المخلص) ، وفي مدينة غرناطة نصروا أكثر من خمسين ألف شخص وأجبروا على لبس السراويل والقبعات وترك لغتهم وتقاليدهم وأسمائهم العربية وحملوا على اعتناق المسيحية[٥٢] ، وتم تسليم الأسلحة وجميع القلاع التي كانت بأيديهم ودفعوا مبلغ ٥٠ ألف دوقه ذهبية ، كما تم إرسال عدد من المبشرين لاعتماد جميع الوسائل لإنجاح المهمة[٥٣] .

وعلى الرغم من كل وسائل العنف والإرهاب التي استعملتها السلطات الإسبانية في تنصير المسلمين الإ إنهم استمروا في ممارسة شعائرهم الدينية بصورة سرية ، فكانوا يؤدون فروض الصلاة سراً في بيوتهم كما يغلقون أبواب بيوتهم يوم الأحد موهمين السلطات بأنهم ذهبوا إلى الكنيسة ، وحتى عندما يعمد أطفالهم يبادرون إلى غسلهم بعد رجوعهم إلى البيت مباشرة[٥٤] .

وعندما تم القضاء على ثورة المسلمين في جبال البوشارات ، وما تعرضوا له من اضطهاد لم ترهب أو تخيف باقي المسلمين في الأماكن الأخرى بل زادت من حماسهم على حمل السلاح ، وإنهم أيقنوا بان ما حدث بسكان البوشارات

وغرناطة سيلحق بهم عاجلا أم آجلا ،وما كانت الثورة قد خمدت في البوشارات حتى كان سكان الجبل الأحمر يعدون العدة من اجل إضرام النيران من جديد والتصدي لجنود قشتالة من مدنهم وقراهم في المناطق الغربية من اسبانيا.

ت – الثورة في الجبل الأحمر ١٥٠٠م :

أعلنت إيزابيلا إن أهل غرناطة خرقوا المعاهدة بعصيانهم ، وأمرت القوات بهدم المساجد وتحويلها إلى كنائس وشرعت بالاستمرار بعملية التنصير [٥٥] ، وعندما ثار أهل الجبل الأحمر كلفت الملكة الونثودي أغلـيلا رايـلاي (Feminine Oglela Rayleigh) وهو الشقيق الأكبر لغونثالو القرطبي ، الذي قاد جيشا كبيرا بهدف إنهاء الثورة بالسرعة الممكنة، ورافقه في هذه الحملة ابنه الدون بدرو القرطبي (Pedro Cordovan) ، ويبدوا أن الونثو استخف بقدرات المسلمين في الجبل الأحمر وكان يجهل مناطق انتشارهم ، فقاد جيشه عبر الممرات الجبلية الوعرة[٥٦] .

ولم يكن يعلم أن المسلمين اعدوا له ولجيشه كمينا ، وفجأة انهارت الصخور على جيشه وهو يعبر فقتل عدد كبير من الجنود وأجهزوا على عدد كبير منهم ولاذ الآخرون بالفرار ، ولما وصلت أخبار مقتل الونثو إلى الملك فرديناند جهز جيشا كبيرا انطلق به من غرناطة إلى مدينة رندة الواقعة في جبال الأندلس الجنوبية واتخذها قاعدة ومركزا لعملياته العسكرية، وقد واجه مقاومة عنيفة من قبل سكان الجبل فانسحب وأعاد تجميع قواته وعاود هجومه مرة أخرى ، مما أدى إلى هزيمة المسلمين فقصدوا القمم العالية وفرض عليهم فرديناند الحصار حتى اضطروا وأعلنوا الاستسلام[٥٧] .

وافق الملك بعد مفاوضات إيقاف الحرب إذ أيقن من خلالها أن استمرار الحرب لن يؤدي إلى نصر حاسم بسبب وعورة المنطقة واستحالة إبقاء عدد كاف من الجنود فيها لضمان استمرار السيطرة على الجبل، وبذلك انتهت ثورة أهل الجبل الأحمر لكن هذا لم يمنع من قيام ثورات أخرى كما حدث في المرية ومناطق أخرى.

ث – الثورة في منطقة المرية عام ١٥٠١م :

أرسلت الملكة إيزابيلا أوامرها إلى دون الفونسو دي أغيلار من اجل التوجه إلى منطقة المرية لتعميدهم وتنصيرهم ، وكان هؤلاء القسس يستعملون وسائل العنف والقسوة من اجل عملية التنصير ، مما دفع أهل منطقة المرية[٥٨] القيام بالثورة في جبال فلا برش (الواقع في شمال شرق الأندلس) وبلغت الثورة أشدها في تشرين الثاني ١٥٠٠، بعد أن احتل الثائرون جميع الحصون التي تحمي المنطقة الجبلية[٥٩] .

سارع الملك فرديناند بإرسال قوات كبيرة إلى المنطقة الثائرة ، ومهاجمة معاقل الثوار ولاسيما مدينة بلفيق التي تعد منطقة التجمع الرئيسة

لقوات الثائرين ، قدم عدد من رجال المقاومة المنفيين وعدد من المتطوعين الأفريقيين من اجل تقديم المساعدة للثوار، وعملوا على بث روح الحماس بين الثائرين وشدوا من عزائمهم ، واستماتوا في الدفاع فقد قاتلت القوات الثائرة قتالا عنيفا وألحقت بالجيش الاسباني هزيمة منكرة ، استمر القتال عدة أيام نضب خلالها الماء وقل القوت في المدينة، وأجهد من فيها الجوع والعطش [٦٠]. خشي الثوار من الوقوع بيد الأسبان ، فتسللوا ليلا منسحبين من المدينة فأضعف ذلك من عزيمتهم وجعلهم في وضع محرج للغاية، فاضطروا إلى الاستسلام على أن يكونوا تحت حكم الملك ، ولكن الملك أمر بقتل الرجال وسبي النساء ومصادرة الأموال إذ لم يقبلوا التنصير، مما سبب في إجبار حوالي (١٨٠٠) شخص في منطقة فيلا برس على الخضوع وقبول التنصير [٦١] لإنقاذ أرواحهم وللحصول على شروط أفضل للتسليم .من جانب آخر اندلعت ثورات في مناطق متفرقة في قرية وادي المنصورة الواقعة في جنوب شرق الأندلس عام ١٥٠١ لكن كلها لم تكن ذات قوة كبيرة بحيث تمكنت القوات الاسبانية من القضاء عليها واسروا أهلها وفرضوا عليهم الرق[٦٢].

أما مدجنوا[٦٣] قشتالة فقد كانوا يختلفون بالكامل عن سكان أسبانيا الشرقية فهم يعيشون في أحياء معزولة تحت الحماية الملكية ، وكانوا مجبرين على لبس أزياء معينة وحمل علامات خاصة وعلى الرغم من ممارسات وسائل الإذلال العنصرية ضدهم خلال القرن الخامس عشر فأن ذلك لم يكن يصل إلى درجة التنصير الإجباري الذي آلت إليه الأمور بعد أحداث غرناطة [٦٤] .

ومما يكشف عن الوضع النفسي الذي كان سائداً في تلك المدة تلك المواثيق التي وقعت بين الدولة والمسلمين في مملكة غرناطة مثل طابيرناس في ١٨ أيلول عام ١٥٠٠ وباشا في ٣٠ من نفس الشهر والسنة ، وهويسكار في ٢٦شباط ١٥٠١ ، وفي تلك المواثيق يتمنى الموقعون أن يندرج النصارى الجدد في النظام العام (أي أن يحصلوا على كل الحقوق) وأن يلغى النظام الضريبي بحيث يدفع المسلمون الضرائب نفسها التي يدفعها النصارى الآخرون وأن يشتركوا في إدارة الشؤون المحلية ، وأن لايجد شيء في استغلال المراعي الخاصة بهم وان يتوقف النصارى عن السخرية منهم فينادونهم بلفظ(مورو)[٦٥] وأن من يفعل ذلك يعاقب قانوناً وقد صدرت مواد قانونية في ذلك تستحق اهتماما أكبر وقد نص بعضها:-

" **على أن يكون للمسلمين قصابيهم وسماكيهم وأن يذبحوا حيواناتهم تبعاً لأحكام وطريقة النصارى وليس بطريقة أخرى ، وأن لايعفى عنهم حتى يتخلوا عن ثيابهم الإسلامية القديمة وأن يستبدلوها بثياب جديدة مناسبة لاسيما**

النساء ، وأن لا يمنعوا من استخدام الحمام وفق الأعراف المتبعة" (٦٦)

صدر في ١٢ تشرين الثاني ١٥٠١ أمرا بإحراق الكتب الإسلامية كلها ، كما صدرت تعليمات بشأن ذبح الحيوانات واستخدام الحمامات والثياب الخاصة وقد فرقت هذه الوثائق بين ماهو ديني وما هو ثقافي .

يبدو أن روح النصوص ومواثيق التسليم لم تنس بالكامل بعد ، وبهذه الطريقة أعلنت السلطات ثقتها بالوسائل المتخذة للوصول بهم إلى تنصير حقيقي حيث كان المسلم المنصر يعد نصرانياً سيء التدين في نظرهم، ومن ناحية أخرى كان أكثر المسلمين يعتقد أنهم بمجرد ممارستهم التعميد سيتركون وشأنهم بسلام ، لكن الإجراءات التي اتخذت في المدة مابين ١٥٠٠-١٥٠٢ أظهرت أنهم كانوا على خطأ كبير فأن خروج بعض المسلمين ورحيلهم عن البلاد في تلك المدة يعبر عن خيبة الأمل التي عانوها ، وكذلك عن جذور الثقافة الإسلامية كما يعبر عن عدم إمكانية الجمع بين ثقافتين في شخصية واحدة ، وقد كانت المساعدة التي قدمها مسلمي الأندلس لحركة الجهاد البحري علامة أخرى على معارضتهم ونقمتهم(٦٧).

إن محنة المسلمين قد بدأت بعد تسليم غرناطة ، حينما بدء ملوك الأسبان بالتنصل عن حقوق المسلمين الواردة في بنود المعاهدة ، وانتهاجهم لسياسة تتقاطع تماماً مع مجمل تعهداتهم بحريات المسلمين وحقوقهم الدينية . كل ذلك ساهم في بلورة شعورهم بالظلم والاضطهاد فأدى إلى العديد من الثورات، وبدلاً من التوقف عن هذه السياسة المناقضة لبنود المعاهدة ، استمر ملوك الأسبان في سياستهم العدائية ضد المسلمين ، فأصدر مرسوماً بطرد المسلمين بعد مضي ما يقارب عشر سنوات على توقيع المعاهدة ، فكان من أشهر المراسيم الملكية وأكثرها ظلماً للمسلمين إلا وهو مرسوم التنصير عام ١٥٠٢ .

مرسوم التنصير ١٥٠٢:

أصدرت المكلة إيزابيلا في١٢ شباط من عام ١٥٠٢م وثيقة ملكية تجبرهم على الرحيل أو التنصير بقولها :-" **إن من واجب أهل قشتالة طرد أعداء الدين المسيحي ، من مملكتي قشتالة وليون ، ويتحتم على جميع المسلمين في المملكتين ، ممن لم يتعمدوا بعد، الرحيل فلا يبقى ذكر فوق سن الرابعة عشرة ولا أنثى عمرها يزيد على الثانية عشرة في قشتالة وليون ، بعد شهر نيسان من نفس العام إلا إذا تنصروا**"(٦٨)

يتضح من بعد قراءة النص إن المرسوم خير المسلمين بين التنصير والرحيل وطرد كل ذكر من يتجاوز عمره سن (الرابعة عشر) وكل أنثى يزيد عمرها عن (الثانية عشرة) لعدم أمكانية

تنصيرهم وتمسكهم بمبادئ الإسلام وأصبح يطلق على المسلمين بـ (الموريسكيين).

سمح المرسوم للمسلمين لمن يرغب بالرحيل بيع العقارات والأملاك ، ولكن حظر عليهم إخراج الذهب والفضة ، ووظفت السلطة كل جهودها للتأكد من تنفيذ بنود المرسوم بحذافيره ، توقع المسلمين صدور قرار بطردهم أو تنصيرهم إجباريا ، وتدخل نبلاء قشتالة في عام ١٥٠٣ وطالب المجلس البرلماني لمدينة برشلونة للحصول على ضمانات بشأن إبقائهم(٦٩) .

وبعد مرور عامين من إصدار مرسوم التنصير توفيت الملكة إيزابيلا في ٢٦ تشرين الثاني عام ١٥٠٤ ودفنت تحقيقاً لرغبتها في غرناطة في دير سان فرانسيسكو(San Francisco) القائم فوق هضبة الحمراء(٧٠)، لبث الموريسكيون في عهد فرديناند الخامس أكثر من عشرين عاماً يتراوحون بين الرجاء واليأس على أنهم مصدر خطر على الشعب الأسباني وطمأنينته لذلك عانت الأمة الأندلسية غدر وتعسف هذا الملك بحقهم . اذ أصدر مجموعة من القوانين المتفرقة ، أولها يرجع إلى عام ١٥٠٨ الذي حدد فيه ملابس الموريسكيين ، وفي عام ١٥١٠ فرض نظام ضريبي يسمى الفارضة وضع على الموريسكيين فقط، كما صدرت خمس وثائق عام ١٥١١ أحدها في ٢٠ مايو تحدد استعمال وشكل بعض أدوات كالسكاكين التي يخشى استعمالها أسلحة ، وأخرى في ١٠ حزيران حول الكتب العربية بالإضافة إلى ثلاث لوائح أخرى بشأن ذبح الحيوانات وتحديد ولي الشخص من الرجال وولي الشخص من النساء (يحتاج إليهما عند التعميد والزواج) ، كما صدرت قوانين عام ١٥١٣ حرم على الموريسكيين من العمل بمهنة الصيارفة ، مثلت هذه اللوائح القانونية عجز السلطات عن تحقيق تطبيق كامل نتيجة التوترات المستمرة وبعد أن عانوا من اضطهاد في عهد الملك فرديناند وقبل وفاته ترك وصية يحث فيها على حماية الكثلكة والكنيسة ويوصي المحققين :-

" **أن يعملوا بحزم لخدمة الله والكنيسة وسحق طائفة محمد (ص)** "

توفي الملك فرديناند في ٢٣ من شهر كانون الثاني عام ١٥١٦ ، ودفن إلى جانب زوجته في الحمراء ثم نقل رفاتهما فيما بعد إلى كنيسة غرناطة التي أقيمت فوق مسجد غرناطة الجامع(٧١).

ب : أوضاع الموريسكيون في عهد الملك شارل الأول(٧٢) (١٥١٦-١٥١٩):

بعد وفاة الملك فرديناند ، أعلن في مدينة بروكسل بأن الأمير شارل الأول هو المرشح للعرش الاسباني . فمن هو **شارل الأول ؟**

هو الابن الأكبر بين أبناء الارشيدوق فيليب الجميل وخوانا المعتوهة (٧٣)،وينتمي من جهة

والده إلى عائلة آل هابسبورغ (House of Habsburg) النمساوية نسبة إلى جده الإمبراطور ماكسميليان الأول وأصبح حاكم مشترك مع أُمه خوانا في حكم قشتالة وأرغون[٧٤]، مما أدى إلى ظهور نزاعات داخلية حاول من خلالها النبلاء استرجاع نفوذهم وبسط سيطرتهم على المدن التي قاومتهم بسبب مجيء الفلمنكيين إلى إسبانيا ورفض قسم من الأهالي لهم .

فضّل الكثير من الأسبان تتويج الأمير فرديناند الأول الذي ولد وترعرع في اسبانيا ما أدى إلى حدوث انقسام بين الأسبان كاد أن يؤدي إلى حرب أهلية لولا جهود الوصي الكاردينال خيمينيس الذي أدار شؤون الممالك الاسبانية بناءاً على أوامر الملك فرديناند قبل وفاته حتى وصول حفيده من الأراضي المنخفضة، إذ نجح ثيسنيروس بإثارة خوف النبلاء المتمردين من تصرفاتهم المؤيدة للأمير فرديناند الأول وإفشاله جميع مؤامراتهم [٧٥]. وصل في ١٨ أيلول ١٥١٧ إلى اسبانيا أسطول ضم أربعين سفينة يحمل الأمير شارل وأعضاء بلاطه الفلمنكيين، وعند وصول الأسطول إلى ميناء استوريا (Astoria) شمال غرب اسبانيا هرع السكان المحليين إلى التلال مسلحين بالعصي والسكاكين ولم يعودوا إلا بعد أن اخبرهم الكشافون بأن هذه السفن لاتحمل العدو بل تحمل ملكهم [٧٦]، الأمر الذي عده شارل الأول بأنه حالة غريبة للاستقبال ، لكنه فُسر أن الأسبان يرفضون أن يكون ملكهم غير اسباني، فكان ذلك مقدمة لتمرد الكومونيرو (العوام) (Comunero)[٧٧] أو ثورة قشتالة التي اندلعت فيما بعد. وفي ٤ تشرين الأول ١٥١٧ التقى الأمير شارل بأمه وأخته كاترين في مدينة توردیسيلياس (Tordesillas) وهن في وضع لايعكسن صورته كمرشح للعرش الاسباني فقرر إنشاء بلاط صغير تستطيع فيه خوانا المعتوهة أن تحيا حياة تليق بملكة اسمية لمملكة قشتالة، وقد حصل منها على تأييد لحقوقه الملكية [٧٨].

رفض ممثلو مدن مملكة قشتالة الذين اجتمعوا بمدينة بلد الوليد (Valladolid) التي تقع في شمال غرب أسبانيا باتجاه الوسط بين قشتالة وليون في ٢ شباط ١٥١٨ الإدلاء بقسم الولاء للأمير شارل حتى يقسم هو شخصياً بالمحافظة على تقاليد وأعراف اسبانيا، ومنع احتكار الأجانب للمناصب بل تكون من نصيب الأسبان، وأن يتعلم اللغة الاسبانية ويتكلم بها الشرط الذي وافق عليه شارل أمام برلمان (كورتس Cortis) قشتالة الذي وافق على منحه مبلغاً من المال لمدة ثلاث سنوات وأن يكون شريك أمه خوانا المعتوهة في الحكم ووصياً عليها[٧٩].

وعلى هذا الأساس تم منحه مبلغ ٢٠٠ كوينتو (Cuento)[٨٠] بشرط أن لايقدم أي طلب

إلى الكورتس للحصول على المال في أثناء مدة الثلاث سنوات التي تم فيها جمع المنحة إلا عند الضرورة القصوى. وفي ٢٠ شباط ١٥١٨ تم تتويج الأمير شارل ملكاً لأسبانيا باسم شارل الأول بعد حصوله على تأييد برلماني قشتالة وأرغون[٨١].

حينما تولى شارل الأول حكم إسبانيا اتخذت السياسة الخارجية الاسبانية أبعاداً جديدة ناشئة عن ثلاثة عوامل رئيسة وهي :-

١. سعة مساحة الممتلكات التي ورثها عن آبائه وأجداده.

٢. الصراع مع فرنسا على الممتلكات الإيطالية.

٣. مشكلة التوسع العثماني في أوربا وفي شمال أفريقيا .

وعندما كان الملك شارل الأول يتفاوض في برشلونه مع كورتس كاتالونيا وصله خبر وفاة جده الإمبراطور ماكسميليان الأول في ١٢ كانون الثاني١٥١٩ فبدأ بالتحرك لضمان انتخابه لمنصب إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة[٨٢].

أن تصميم شارل الأول على الحصول على اللقب الإمبراطوري ناتج عن خشيته أن يكون أما من نصيب فرنسوا الأول ملك فرنسا أو هنري الثامن ملك انكلترا المرشحين للمنصب الإمبراطوري الذي يعتمد على أساس حق الانتخاب الذي يؤديه حكام المقاطعات الألمانية مما يشكل تهديداً خطيراً لممتلكات آل هابسبورغ ، كما أن الأخير أعتمد على الشعبية التي كان يتمتع بها جده الإمبراطور ماكسميليان الأول[٨٣]، فقد وعد الأمة الألمانية بأنه سيدافع عن السلام والقانون في الإمبراطورية وبهذا فأنه نصّب نفسه حارساً لوحدة ممتلكات الإمبراطورية الرومانية المقدسة . وفي ٢٨حزيران ١٥١٩ أعلن الناخبون الألمان في مدينة فرانكفورت (Frankfurt) انتخاب شارل الأول إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة[٨٤] باسم شارل الخامس، الذي تم تتويجه رسمياً في مدينة اكس لاشابيل [٨٥] في ٢٣ تشرين الأول ١٥٢٠ وبعد انتخابه كتب إليه كاتينارا، قائلاً:-

"**سيدي أن الله رؤوف معك ورفعك في العالم المسيحي فوق الأمراء والملوك إلى سلطة لم يحلم بها أحد منذ عهد جدك الأكبر شارلمان فقد وضعك في منصب تحقق بواسطته المملكة العالمية وتوحيد العالم المسيحي تحت راعٍ واحد**"[٨٦] .

شهد تولي شارل الأول عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بداية جديدة من الصراع مع فرنسا الذي انعكس على توتر العلاقات الفرنسية – الأوربية ، كما شهد عهده تنامي الخطر العثماني صوب العالم المسيحي ، فقد كان على الإمبراطور شارل الخامس أن يواجه التطورات السياسية التي أخذت تعصف بالإمبراطورية

الرومانيــة المقدســة وعلــى مختلــف الصــعد وفــي مقدمتها حروبه الطويلة مع فرنسا[٨٧] .

المبحث الثاني

موقف الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عهد الإمبراطور شارل الخامس من الموريسكيين في اسبانيا(١٥٢٠-١٥٥٦)

شهد تولي شارل الخامس عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بداية جديدة من الصراع مع فرنسا الذي انعكس على توتر العلاقات الفرنسية – الأوربيــة ، كمــا شــهد عهــده تنــامي الخطــر العثماني صوب العالم المسيحي ، فقد كان على الإمبراطـور شـارل الخـامس أن يواجـه التطـورات السياسـية التــي أخــذت تعصــف بالإمبراطوريــة الرومانيــة المقدســة وعلــى مختلــف الصــعد وفــي مقدمتها حروبه الطويلة مع فرنسا[٨٨].

عكست هذه الأوضاع التي يمر بها الإمبراطور شــارل الخــامس جانبــاً ايجابيــاً كــان يصــب فــي مصلحة الموريسكيين فقد تنفسوا الصعداء بسبب انشــغال الإمبراطــور وأبــدى شــيئاً مــن اللــين والتسامح نحوهم وجنحت محاكم التفتيش إلى نوع من الاعتدال في مطاردتهم لكن هذه السياسة لم تـدم سـوى بضـعة أعـوام بسـبب عـودة سـطوت الكنيسة فغلبت كلمتها على الإمبراطور، وضغط البابــا كلمنــت الســابع علــى الإمبراطــور شــارل الخــامس بــأن يصــدر أمــر بحــق الموريســكيين وطردهم وفعلاً أصدر مرسوم في ١٢ أيار عام ١٥٢٤ يحتم تنصير كل مسلم بقي على دينه ، وإخـراج كـل مـن أبـى النصـرانية مـن إسـبانيا وأن تحول جميع المساجد الباقية إلى كنائس[٨٩] .

وكان لهذه القرار الوقع السيئ على الموريسكيين وما إن لبثت الثورة أن نشبت في معظم الأنحاء التي يقطنها المسلمين لكنها أخمدت جميعها ما عدا فـي بلنسية فقد كـان لهـا شـأن آخـر بسـبب ضـمها لأعـداد كبيـرة مـن الثـوار ولوقوعهـا علـى البحــر مهــد لهــم ســبل الاتصــال بــإخوانهم فــي المغرب[٩٠] .

ثورة بلنسية عام ١٥٢٥ :

انـدلعت الثـورة فـي بلنسـية بعـدما أثيـرت مسـالة التعميد بالإكراه ، وقد انطلقت الشرارة الأولى من مدينـة ابـن الـوزير القريبـة من بلنسية ، إذ أغلقوا أبواب بيوتهم في وجه المفوض الاسباني ، ولما علم سكان القرى القريبة منها ، بما فعله إخوانهم انضموا إليهم فتزايد عددهم[٩١]، ثم تحرك سكان منطقة كورتس قرب نهر شقر ، وقتلوا الإقطاعي لويس دي باياس (Louis de BIOS) الذي كـان يحـاول إجبـارهم علـى التنصـر ، ولمـا تزايد عدد الثوار فـي منطقـة ابـن الـوزير تحركـوا نحـو مدينــــة بيكــــوك الواقعــــة علــــى وادي النهــــر الكبيــر[٩٢].أعلنــت قــوات نائــب الملــك ألخــوري جيفارا (Guevara) الحرب على العرب الثائرين بالحديد والنـار ، فخرج مـع خمسـة ألاف شـخص يجرون عددا من المدافع ويتجهون إلى الحصن

، بينما لم يكن الثائرون يملكون الأسلحة الكافية، لكنهم كبدوا الجيش الاسباني الكثير من الخسائر لكن سرعان ما أشتد الضغط الإسباني على الموريسكيين الثائرين بعث حاكم بلنسية ابن مردينش[٩٣] وفداً إلى تونس يستغيث بأبي زكريا الحفصي ، ويستنجد به ضد النصارى وكان على رأس الوفد الشاعر أبو عبد الله بن الآبار ، ولما مثل الوفد بين يدي أبا زكريا قام ابن الآبار وانشد قصيدة يبحث بها أبا زكريا ويصف فيها ما أصبح عليه مسلمو الأندلس من ضعف وتقهقر أمام العدو[٩٤].

فبادر الأخير بالإغاثة وشحن للوفد سفناً بالمال والقوت والكساء ولكن وصلت في وقت أصبح فيه سقوط المدينة أمراً لا مفر منه ، فاضطروا إلى طلب المفاوضة مع الحاكم جيفارا الذي اشترط التعميد لمن يريد البقاء لذلك عمدهم واجبر سكان الحصن على أن يدفعوا (١٢) ألف دوقة ذهبية ، وهكذا انتهت الثورة وتمكن جيفارا من القضاء عليها بعد أن حمل الغنائم وعاد بالجيش إلى بلنسية[٩٥]. ويصف أبن الآبار حالة بلنسية في قصيدة طويلة تقارب السبعين بيتاً، يقول في أولها :

أدرك بخيلك خيلِ الله أندلسيا
إن السبيل إلى منجاتها دَرَسا
وهَب لها من عزيزِ النصر ما التمَست
فلم يزل منك عِزُّ النصر مُلتَمسَا
يا للجزيرة أضحى أهلها جُزُرا
للحادثات وأمسى جَدُّهَا تَعِسا
وفي بلنسية منها وقرطبة
ما ينسف النفس أوما ينزفا لنفسا
مدائن حلها الإشراك مبتسما
جَذلان وارتحل الإيمان مبتئسا[٩٦]

رأى مجلس الدولة أن يطبق عليهم سائر الأوامر التي طبقت على مسلمي غرناطة وهي أن يعتنقوا النصرانية وسوف يسمح لهم الاحتفاظ بلغتهم وأزيائهم لمدة عشر أعوام فقط ، وأن يمنحوا بعض الامتيازات فيما يتعلق بالزواج ودفع الضرائب وكانت هذه المنح أفضل ما يمكن الحصول عليه في هذه الظروف[٩٧].

بدأ الإمبراطور في العديد من الإجراءات ضد الموريسكيين فقد أمر بنزع السلاح منهم وإغلاق المساجد وإجبارهم على حضور القداس وإخراج الموريسكيين غير المعمدين من بيوتهم ومن المملكة بشكل نهائي في موعد أقصاه ٣١ كانون الثاني عام ١٥٢٦م ، استغاثوا بالإمبراطور والتمسوا عدله وحمايته ،على يد وفد منهم بعثوه إلى مدريد عام ١٥٢٦م ليشرح ظلامتهم وآلامهم، فندب الإمبراطور محكمة من النواب والأحبار والقادة وقضاة التحقيق برئاسة المحقق العام لتنظر في ظلامة الموريسكيين ، ولتقفر ما إذا كان التنصير الذي وقع عليهم بالإكراه يعد صحيحاً أم لا[٩٨].

وقد أصدرت المحكمة قرارها بأن التنصير الذي وقع على المسلمين صحيح ولا تشوبه شائبة وعلى أثر ذلك صدر الأمر الملكي بأن يرغم سائر المسلمين الذين نصروا كرهاً على البقاء في إسبانيا باعتبارهم نصارى وأن ارتدوا قضي عليهم بالموت والمصادرة(٩٩).

سجل عام ١٥٢٦ توقفاً ملحوظاً بالضغط على الموريسكيين لعدد من الأسباب أهمها:- إمكانية الاندماج بين الفئتين ولا شك أن التنصير الرسمي أرضى جميع الأطراف المتدخلة في الصراع ، وكذلك التنصير كان مصحوباً ببعض مظاهر إجراءات الرحمة من أجل تهدئة النبلاء الخائفين على مصالحهم ، وأجلت الكثير من الإجراءات المعادية الموريسكيين إضافة إلى تجميد قانون غرناطة في ٧كانون الأول ١٥٢٦ الذي يقضي بتعديل عادات الموريسكيين(١٠٠). وفي ١٤ كانون الأول كتب شارل الخامس رسالة إلى البابا جاء فيها: -

" **إن اعتناق المسيحية من قبل الموريسكيين لم يكن بإرادة الكثير منهم أي لم يكن عن اقتناع ، ثم بعد ذلك لم يعلموا عقيدة إيماننا الكاثوليكي**"(١٠١) .

وقع الإمبراطور شارل الخامس في ٢٩ أيلول ٤٠ لائحة ملكية بإلغاء أو بوضع حد للاستغلال الذي كان الموريسكيين يتعرضون له ، ثم تبع ذلك مرحلة من الهدوء النسبي لمدة ثلاثين عاماً تعايش فيها الموريسكيين والنصارى تبعاً للقواعد المقررة عام ١٥٢٦ ، وكانت السياسة المتبعة تجاه الموريسكيين تتأرجح بين الإجبار والقمع ، ومما لاشك فيه فإن وعود عام ١٥٢٦ لم تكن موضع احترام دائماً ، فمحاكم التفتيش بدأت بمطاردة الموريسكيين في بلنسية ١٥٢٦ وغرناطة ١٥٢٩ وخلاصتها إن الموريسكيين كانوا يعانون من اعتداءات مستمرة ومتعددة من جانب النصارى فهم يشتمون ويستغلون وينزع الحجاب عن نسائهم إضافة إلى نظام المعايشة الذي قررته مواثيق عام ١٥٢٥و١٥٢٦ أصبح في حالة متردية ، والتوازن الذي تحقق بكل صعوبة خلال ثلاثين عاماً أنهار وتم التخلي عنه في المدة بين ١٥٥٥-١٥٦٨.

وبهذا أصبح التوتر يزداد بعد أن فشلت سياسة الاحتواء ، فالموريسكيين أصبحوا أكثر تمسكاً بالإسلام وعاداته وأن اعتدالهم لم يحقق لهم شيئاً مما جعل الهوة التي تفصل بينهم تزداد عمقاً مع نهاية تلك السنوات(١٠٢) .

تدهورت صحة الإمبراطور شارل الخامس عام ١٥٥٥، التي وصفها مستشاره الخاص نيكولاس نيكولاي Nicholas Nicolai ((1520- 1571) ببيانٍ جاء فيه:-

" **وفقاً لرأي أطبائه فأن جلالته من غير المؤمل ان يعيش طويلاً بسبب الأمراض التي أصابته لاسيما في الشتاء منها داء النقرس الذي**

يهاجمه وبصورة متكررة فيؤلم جميع أعضائه وأعصابه، وأن الزكام يؤثر فيه بشدة والبواسير تجعله يعاني من ألم مبرح بحيث لايستطيع أن يتحرك إلا بألم شديد جداً، فضلاً عن الأرق. كل هذه الأمراض مع المعاناة الذهنية الشديدة جداً قادت إلى تغيير كلي لمزاجه وروحه وحكمه على الأمور بصورة صحيحة ذلك المزاج والروحية التي اعتاد الآخرون عليها عند لقائهم به والآن أصبح شخصية سوداوية ، وأن جلالته لم يعد يسمح لأي شخص سواء كان لورداً أو أسقفا أن يلتقي به، وكذلك لايتعامل مع الأوراق وكان يقضي نهاره وليله في تلك المعاناة ولا يقوم بأي شيء آخر" (١٠٣).

اعتكف شارل الخامس في مدينة بروكسل مصاباً بالكآبة وتسلطت على عقله فكرة التنازل عن العرش،إذ كان عمره آنذاك(٥٥) عاماً لكنه يبدو وكأنه حكم عدة قرون(١٠٤).بدأ شارل الخامس بمناقشة قضية وراثة العرش فالمشكلة الأساسية كانت تكمن بإعادة توزيع الحقوق بين ابنه فيليب الثاني وأخيه فرديناند الأول لوراثة الممتلكات التي يحكمها، فقد كان فيليب الثاني الوريث الشرعي المعترف به في اسبانيا وما يتبعها من أملاك في ايطاليا ومستعمرات في العالم الجديد، أما في أراضي الإمبراطورية الرومانية المقدسة فكان فرديناند الأول الحاكم المعترف به بلا منازع(١٠٥).

في ١٦ كانون الثاني ١٥٥٦ تنازل شارل الخامس عن العرش الاسباني لفيليب الثاني(١٠٦)(Philip II) الذي أصبح ملكاً على أسبانيا وممتلكاتها في أمريكا الوسطى والجنوبية وشمال افريقية وجزر غرب البحر المتوسط ومملكة الصقليتين فضلاً عن ممتلكات آل هابسبورغ في شمال ايطاليا (١٠٧).

وقد وجه شارل الخامس خطاباً مكتوباً إلى فيليب الثاني، ذكر فيه :-

"**إذا كنت يا فيليب قد حصلت على منصب ملك إسبانيا فأن هذا الميراث الجميل يمكن أن يضمن لي أن أطالب وبعدالة امتناناً منك لي، ولكن الآن سوف أجعلك تحكم هذه الممتلكات بصورة اخترتها طوعياً وأنا لا أزال حياً فإن ذلك لمصلحتك، ولذلك أتوقع أن الحب والرعاية التي كرستها لرعاياك في هذه الممتلكات سوف تشرفني إلى الحد الذي استحق فيه مثل هذا الشرف من اجل هذه الهدية** " (١٠٨).

وبذلك خلف فيليب الثاني والده الإمبراطور شارل الخامس في حكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، الذي رأى في وجود المسلمين مشكلة يجب حلها، مقتنعا بوجهه نظر الكنيسة التي تعد هؤلاء المسلمين يمثلون أقلية عنصرية غير قابلة للاندماج في المجتمع الاسباني، لاسيما أنهم على اتصال دائم مع أعداء البلاد في شمال إفريقيا والدولة العثمانية، الأمر الذي كانت

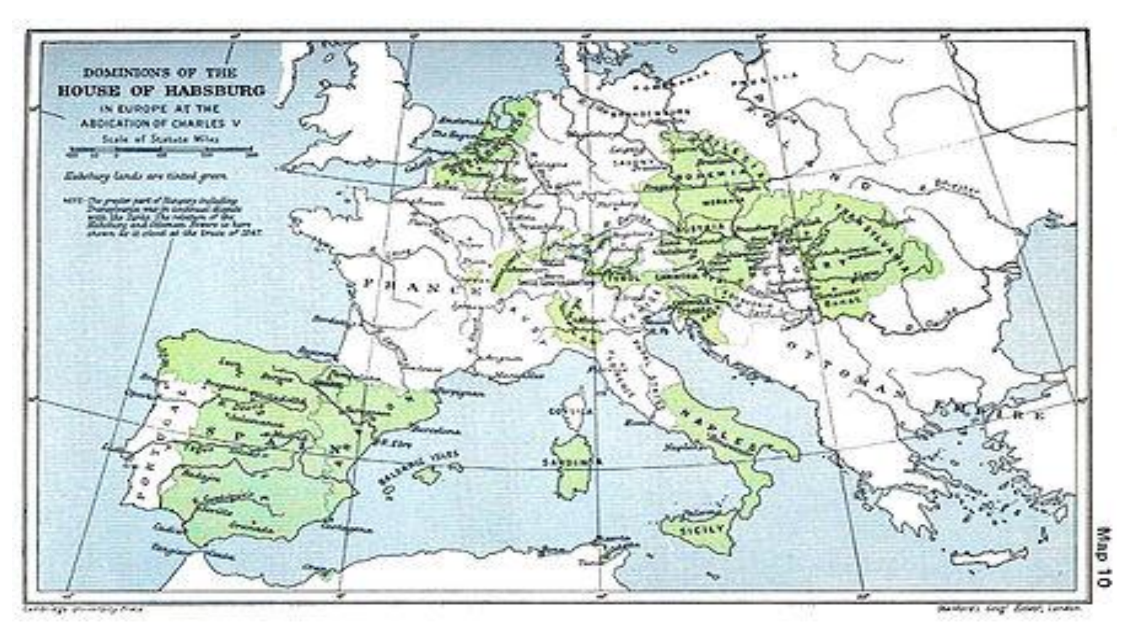
تخشاه السلطات الاسبانية وتنظر إليه دائما في كثير من الريبة والحذر(١٠٩) لذلك قابلها بسياسة خاصة تهدف إلى التخلي عن سياسة الدفاع وانتهاج سياسة هجومية في البحر المتوسط ، إضافة إلى العمل على إعادة تسليح الأسطول الاسباني . واعتمد سياسة العنف والقمع والاضطهاد ضدهم، فاصدر جملة مراسيم ملكية منها مصادرة الأسلحة ومنع اقتنائها في مدة أقصاها خمسون يوما ومن يتأخر عن ذلك يعرض نفسه للأشغال الشاقة مدة ست سنوات ، وكان يعد هذا المرسوم بداية لقوانين أخرى اشد وأقسى(١١٠)



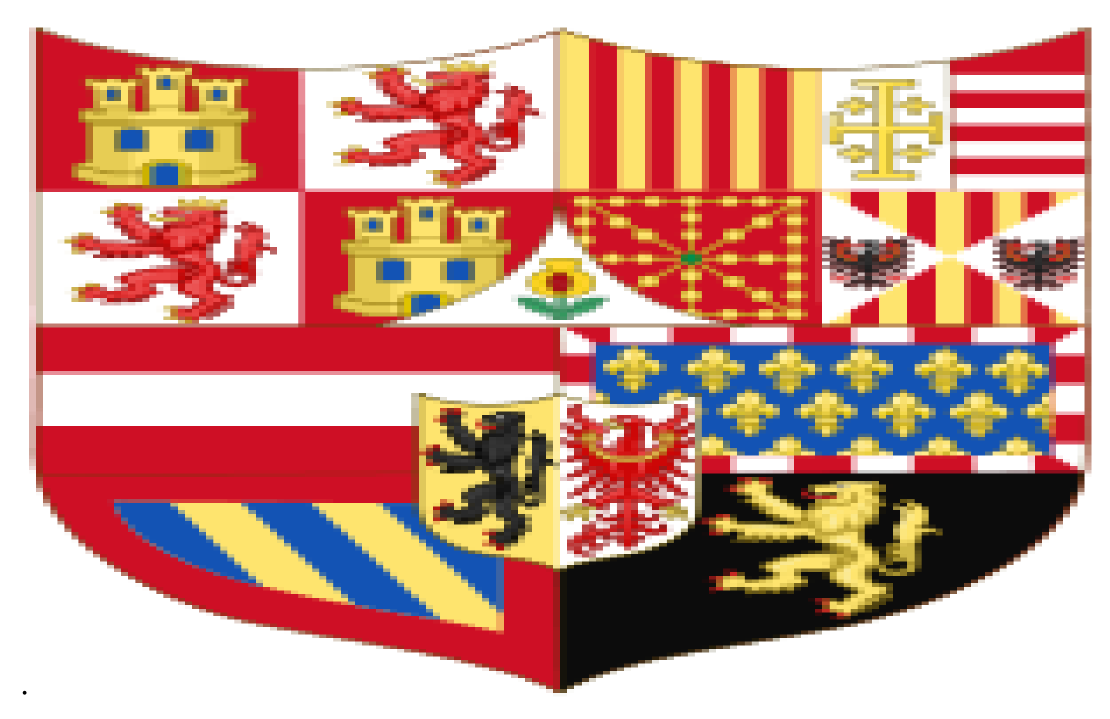
فرناندو الثاني ملك أراغون وإيزابيلا الأولى ملكة قشتالة.



نعشا الملكين في كاتدرائية غرناطة

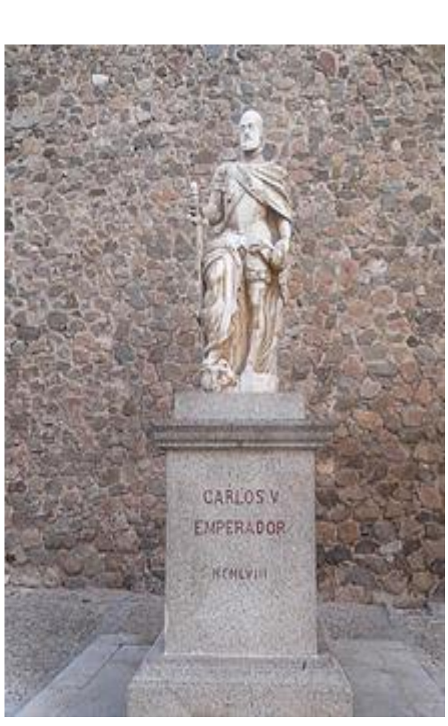


خريطة لممتلكات آل هابسبورغ (1547) "أطلس تاريخ كامبريدج الحديث" ١٩١٢؛ بالأخضر



.

درع الامبراطور شارل الخامس، يظهر عليه أراضي إسپانيا (أعلى) والممتلكات الأوروپية الأخرى (أسفل)





صورة وتمثال للامبراطور شارل الخامس



أعمدة هرقل مع شعار" بلاس أولترا " كرمز للامبراطور كارلوس الخامس في قاعة بلدية أشبيلية في القرن ١٦

الهوامش

١. فهو في اللغة: من التنصُّر،وهو الدخول في النصرانية ونصَّره تنصيرا جعله نصرانيًّا ، وفي الاصطلاح هو: حركة دينية سياسية استعمارية ،تهدف إلى نشر النصرانية بين الأمم المختلفة عامة ،وبين المسلمين خاصة، للمزيد ينظر: عبد الودود شلبي ، حقائق... و.... وثائق: دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي (جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م) ص١١١.

٢. للمزيد ينظر : ليفيبروفنسال ، حضارة العرب ، ص ٦٧؛

Mikel de Epalza , Los Moriscos antos y Despuge de La Expulsion , pp.6_7

3. Henry Edward Watts , The Christian Recovery of Spain Bering the Story of Spain from the Moorish conquest to the fall of Granada (London : 1894) P.300.

٤. خاشع المعاضيدي ، تاريخ ا لدولة لعربية في الأندلس ، (بغداد : مطبعة التعليم العالي ، ١٩٨٨) ص ١٩٣

٥. ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الآبار ، الحلة السراء ، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة : لا.مط ، ١٩٦٣)

٦. المقري ، نفح الطيب، ج٤، ٥٢٧ .

7. Henry Edward , Op . Cit , P 313 .

٨. وهو رئيس أساقفة غرناطة (١٤٢٨– ١٥٠٧) تخرج هيرناند وفي اللاهوت من جامعة سالامانكا ،وأصبح رئيس دير برادو قرب بلدا لوليد ورويال ، كان هيرناندو دي تالافيرا أيضا المسؤول المالي للسالامانك أسقفية وأصبح أسقف على أفيلا (١٤٨٥–١٤٩٢)،ورئيس أساقفة غرناطة (١٤٩٣–١٥٠٧)،للمزيد ينظر :

Pedro de Alcántara Suárez y Muñano, Vida del venerable FrayAde Granada(Harvard University, 1866) PP .17-20

Hernando de Talavera, Cato lica impugnacio n , (Barcelona : 1961) P P. 15_22

٨. الكتاني ، المصدر السابق ، ص ٥٩.

٩. محمد عبده حتاملة ، التنصير ألقسري لمسلمي الأندلس في عهدا لملكين الكاثوليكيين ١٤٧٤– ١٥١٦ (عمان: الجامعة الأردنية ، ١٩٨٠) ص ٥٩ .

١٠ . خاشع المعاضيدي ، المصدر السابق ، ص ,٧٥

١١ .غييرموغوثالبيسبوستو ، الموريسكيون في المغرب ، ترجمة مروه محمد إبراهيم وجمال عبد الرحمن (القاهرة : المجلس الأعلى للطباعة والنشر ، ٢٠٠٥) ص ٢١ . مدينة ساحلية تقع في شمال المغرب،اندثرت ويقع مقابلها جزيرة صغيرة باسمها ، للمزيد ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ص ٦٨٨.

١٢ . مدينة ساحلية تقع في شمال المغرب،اندثرت ويقع مقابلها جزيرة صغيرة باسمها ، للمزيد ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ص ,٦٨٨

١٣.محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، العصر الرابع دولة الإسلام في الأندلس،ط٢ (مصر :المطبعة المصرية، ١٩٥٨) ص٢٩٤

؛Prescott, William Hickling , History of the reign of Ferdinand and Isabella the

Catholic, Vol. 2 (Philadelphia : 1872) P 177.

.١٤

William Prescott, History of the reign of Ferdinand and Isabella , P 185 .

١٥ ..مؤلف مجهول ، آخر أيام غرناطة ، تحقيق محمد رضوان (دمشق : مطبعة دار حسان للطباعة ، ١٩٨٤) ص ١٣٣- ١٣٤.

١٦ . عبد الكريم التواني، مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس (الدار البيضاء: مكتبة الرشاد، ١٩٦٧) ص ص ٤٦٧- ,٤٧٢

١٧عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ط٢ (دمشق :داراسامه للنشر والطباعة ، ١٩٥٨) ص ٩٠

؛Frederick Metrics , The Church in SpainPP .440-444 . (London: 1892)

١٨. عبد الواحد ذنون طه،حركة المقاومة العربية في الاندلس (بيروت دار المدار الاسلامي ، ٢٠٠٤ ص٥٣ ؛

Charles L Tieszen , Christian Identity amid Islam in Medieval Spain (London : 1978) P. 167

The New Encyclopedia Britannica , vol. 6 (1987) P .397 .1`9

٢٠. ريموند شايندلين ، اليهود في اسبانيا المسلمة ، ترجمة مريم عبد الباقي ، بحث ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ، (بيروت : مركز الدراسات ، ١٩٩٨) ص ,٣١٥

٢١. ولد عام ١٤٣٦ في مدينة توريلاكونا (Torrelagwna) بمملكة قشتالة، أصبح سكرتيراً في مدة حكم الملكة إيزابيلا ورئيس محكمة التفتيش، وبعد وفاة الملك فرديناند عام ١٥١٦ أصبح وصياً على مملكة قشتالة نيابة عن شارل الخامس الذي كان في الأراضي المنخفضة . توفي في مدينة روا Roa بالقرب من مدينة بلد الوليد عام ١٥١٧.

للمزيد ينظر:

John Canon Dalton , The Life and times of Cardinal Jiménez or the Church in Spain in the time of Ferdinand Isabella , second edition (London : 1885) P P.1-10

R.Mirton, Cardinal Jimenez,(London: 1934) PP. 4-7

٢٢ . ولد في تورو في ١٤٤٣ في عائلة نبيلة من أصل الجاليكية تم تعيينه قبل من ديرالدومينيكان سان استيبان، في ١٤٨٦ تم تعيينه مدرس الأمير خوان،ابن فرديناند وإيزابيلا،عين رئيس أساقفة إشبيلية، وهو المنصب الذي شغله ١٥٠٤-١٥٢٣، عندما توفي أثناء الرحلة إلى تنصيبه رئيس أساقفة توليدو ،للمزيد ينظر:

https://es.wikipedia.org

.٢٣

Cecil Roth , The Spanish Inquisition (London: 1984) P 211

٢٤.شهاب الدين احمد المقري ، أزها الرياض في أخبارعياض ، تحقيق مصطفى العقاد وآخرون،ج١(القاهرة : مطبعة لجنة التأليف ، ١٩٣٩) ص ٦٨؛مؤلف مجهول ، نبذه العصر في انقضاء دولة بني نصر، طبع ضمن كتاب أخر بني سراج للفيكونت

دون ترويريان ، ترجمة شكيب ارسلان ،(القاهرة : مطبعة المنار ،١٩٢٥) ص ٤٤
؛ William Thomas Walsh , OP. Cit. P.23.

٢٥.أسعد حومد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥؛عبد الواحد ذنون طه ، حركة المقاومة العربية في الاندلس (بيروت : دار المدار الاسلامي ، ٢٠٠٤)، ص ١٨؛.
John Canon Dalton , The Life and times of Cardinal Jiménez or the Church in Spain in the time of Ferdinand Isabella , second edition (London : 1885)؛ P.45
Turberville A.s , The Spanish Inquisition (London :1949)P 125

٢٦
Erika Rommel , Jimenez de Cisneros on the tbres bold of Spain s Golden Age (Arizona : 1999) P.9-10 .

٢٧ . محمدا لعروسي المطوى ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (تونس :دار الكتب الشرقية ، ١٩٥٤) ص ١٨٧؛
Henri Terrassa, Islam De Spagne Paris : 1958) P.78
28 .عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة وتاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة (بيروت : دار صبح للطباعة ، ٢٠٠٠) ص ١٣٤John Canon Dalton , op .cit , P.192.
29
Stanly lane Poole , The Moors in Spain , 4th edition (London :1980)P.271
(Cecil Roth , op .cit , P. 222 .

٢٩ . بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، المصدر السابق، ص ١٣٦.
٣٠ . الكتاني ، المصدر السابق ، ص ٦٢ ؛حوم ، المصدر السابق ،ص ٢٧٠-٢٧١ .
31 Cecil Roth The Spanish Inquisition (London: 1984), P.228
32 William H. Prescott , The History of the Reign of Ferdinand and Isabella the Catholic , vol .1 (London : 2002)P.166 .
33 بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ص ٩٥؛ Henri Terrassa , Islam De Spagne (Paris : 1958 , P. 133
.
٣٤ . عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون اوالمورسكيون الأندلسيون صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس (القاهرة: دار الصحوة، ١٩٩١) ص ٧٩؛ حومد ، المصدر السابق ، ص ٢٧١.
٣٥ . طه ، المصدرالسابق ، ص ٢٢؛ Lous Viardot op .cit , P. 111
36 I. de Azcona , Isabel La Catolia (Madrid : 1964) P. 92 .
٣٧ عبد الله محمد جمال الدين ، المصدر السابق ، ٨٤؛بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ،ص١٣٥ Erika Rommel, Jimenez de Cisneros on the tbres bold of Spain s Golden Age (Arizona : 1999) , P. 143
٣٨ جان بول رو ، الإسلام في الغرب ، تعريب فجره هاجر ،سعيد الغز (بيروت : المكتب التجاري للطباعة،

١٩٦٠) ص ٩٥؛. de Azcona , op. cit , P. 148

٣٩ يوسف كاظم جغيل ألشمري ،دراسات في التاريخ الأندلسي العلاقات السياسية لسلطنة غرناطة (بيروت :دار العلوم العربية ، ٢٠١٤) ، ص ١٨٤– ١٨٥؛ Erika Rommel , Jimenez de Cisneros on the tbres bold of Spain s Golden Age (Arizona : 1999) P153.

40 Anwar GChejne , Histori ade Espana Muslmana (Madri . 1980) P123 .

41 Pascual Boronaty Barrachina , Los Moriscos Espanoles Y sa . expulsion (Valencia : 1907) P.197

42 Juan Rodrguez , Historia de Espana (Oxford University 1939) P. 54

٤٣ احمد رائف ، وتذكروا من الأندلس الإبادة (مصر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٨٧) ص ٣٣٥؛بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ١٣٧ ؛ Stanly lane Poole , op. cit , P. 278

٤٤

٤٥قائد الأندلسي في خدمة الملوك الكاثوليك ولد في مدينة مونتيلا عام ١٤٥٣ ، سنوات خدمته (١٤٧٩–١٥٠٤) لقبب الكابتن الكبير ، ويعرف بكونه "أب حرب الخنادق" ووحدات المشاة التي عرفت فيما بعد باسم تيرسيو كما حارب تحت رايته العديد من الرجال ذوي النفوذ مثل فرانثيسكو بيثارو، تولى أكثر من منصب فقد كان كابتن شركةا لقادة بالحملات إلى نابولي (١٤٩٤) وملازم عام بوليا وكالابريا شارك في حرب غرناطة ودوق تيرانوفا وسانتانجيلو وأندريا ومونتالتو وسيسا ، توفي عام ١٥١٥ م ، للمزيد ينظر : Vaca de Osma, José Antonio, El Gran Capitán (Madrid : 1998) PP. 3-8

٤٦ حومد ، المصدرالسابق ، ص ٢٧٤؛ Juan Rodrguez Historia de Espana (Oxford University : 1939) , P. 62

47Thomas Hartwell Horne John Shakespear, The History of the Mahometan Empire in Spain Containing a General History(London : 1816) P.199 .

٤٨ محمد عبد حتاملة ، التتصير ألقسري، المصدر السابق ،ص ٨١؛ Charles L Tieszen , Christian Identity amid Islam in Medieval Spain (London ; 1978) P. 211

٤٩ (بالإسبانية: Albuñol) هي بلدية تقع في مقاطعة غرناطة التابعة لمنطقة أندلوسيا جنوب إسبانيا ، وتعد احدى الحصون الواقعة على البحر الأبيض المتوسط التي سيطر عليها المسلمين خلال قيام ثور ةالبشرات ، للمزيد ينظر : https://ar.wikipedia.org

.الكتاني ، انبعاث الإسلام في الأندلس، المصدر السابق، ص ٦٢ ؛بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ١٣٦ ؛ Montgomery W . Watt , op .cit P.130 .

50 Gtmenz A. Soler , Fernando el catolico (Madrid : 1941) P.87 .

٥١ فهمي هويدي ، في بلاد الموريسك غرباء الأندلس ، مجلة العربي ، العدد ٢٢٨ ، ص ٧١ .

٥٢ حومد ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧ ؛
Thomas Hartwell , op . cit , P. 214.
٥٣
Gtmenz A. Soler , Fernando el catolico (Madrid : 1941) P.94
54 Siliocortes. C , Isabeal La Catolica Fun dadora de Espana (Valladolid : 1938) PP. 145 -148.

٥٥ بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ١٣٦- ١٣٧؛
Mary Platt Parmele , A short history of Spain (New York : 1906) P. 144 .
56 David Hannay, Spain , (London: 1917) P. 115 .
٥٧ عبد الله محمد جمال الدين ، المسلمون المنصرون اوالمورسكيون الأندلسيون صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس (القاهرة : دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ١٩٩١) ص ١٨٩؛
58 Thomas Hartwell , op . cit , P. 76 .

٥٩ . حومد ، المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛حتاملة ، التنصير ألقسري ،
؛ ص ٨٤ Samuel Astley Dunham , History of Spain and Portugal , vol.1(London: 1832) P. 312
60 Henry Edward Watts , The Christian Recovery of Spain Bering the Story of Spain from the Moorish conquest to the fall of Granada (London : 1894), P. 166

.الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص ٦٧ ؛
Mary Platt Parmele, op.cit, P 165
٦١ لفظة المدجنين كانت تطلق على المسلمين قبل سقوط غرناطة وبقاء المسلمين تحت سيطرة النصارى لكن لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ، للمزيد ينظر :
L.p.Harvey , Muslims in Spain (London :2005) pp.2_7

٦٢ انطونيو دومنغث ، برنارد ، المصدر السابق، ص ١٤٤.
٦٣ ويطلق هذا اللفظ اليوم على أبناء العالم الإسلامي لاسيما سكان شمال أفريقيا ويحمل في معانيه الأستهزاء.
64 op.cit,P.48
. Samuel Astley
٦٥ . حتاملة ، التنصير ألقسري ، المصدر السابق ، ص ١٣٣؛ Prescott , op . cit P 179

66 William Prescott , op .cit,P.17
67 Charles L Tieszen , op . cit , P. 65 - 68 .
68 William Thomas Walsh, Queen Isabella of Spain, (Sheed Ward, 1931) P.212
69 William Hackling Prescott, John Foster Kirk, History of the reign of Ferdinand and Isabella the Catholic , Vol. 3 (Philadelphia :1883) P .524
٧٢ . ولد في ٢٤شباط بمدينة غينيت وهو الأبن الأكبر لفليب الجميل من زوجته خوانا القشتالية الملقبه

بالمعتوهة ، تولى حكمى أسبانيا مابين (١٥١٦١٥٥٦) وتولى بعد وفاة جده مكسمليان في ٢٨ حزيران ١٥١٩ عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة ولقب شارل الخامس ، تنازل عن عرشه عام ١٥٥٦ بعد أن أنهكته الحروب والمشاكل الداخلية، قسم أملاكه بين ابنه فيليب وأخيه فرديناند ولم يبقى له سوى لقب الأمبراطور الذي أحتفظ به حتى وفاته في ٢١ ايلول ١٥٥٨م ، للمزيد ينظر :

Harold kleinschmidt , Charles v : the world mperor (London-2002) : The New Encyclopedia, vol.3, P.159

٧٣ . وهي الابنة الثالثة لملك صقلية وملكة تاج أراغون وملك نافار االعليا المستقبلي فرناندو الثاني ، ولدت في طليطلة عام ١٤٧٩، وهي ملكة قشتالة وأراغون الملقبة بالمجنونة أميرة أستورياس في المدة مابين ١٥٠٢ و ١٥٠٤ وأميرة جرندة من ١٥٠٢ إلى ١٥١٦،وملكة قشتالة ليون من ١٥٠٤ إلى ١٥٥٥،ثم ملكة نافار االعليا من ١٥١٥ إلى ١٥٥٥ وأخيرا ملكة أراغون وفالنسيا وسردينيا ومايوركا وصقلية ونابولي وكونتيسة برشلونة وعدد من الكونتيات الكاتالانية من ١٥١٦ إلى ١٥٥٥ ، توفيت عام ١٥٥٥ ، للمزيد ينظر :María A. Gómez, Santiago Juan-Navarro, Juana of Castile: History and Myth of the Mad Queen (Lewisburg:2010) P.30-36

٧٤

1558) Christopher Hare, AGreat Emperor Charles V1 (1519

(London: 1917) P.2

Martyn Rady, The Emperor Charles V,((.London: 1988) P.38 75

Perez, Op. Cit., P.145

.76 .

٧٧ . الكومونيرو: مصطلح اسباني أُطلق على الرجال الذين قاموا بتحفيز الناس للقيام بالتمرد ضد شارل الخامس، وقد أُطلق عليهم هذا المصطلح لأنهم ينتمون إلى الطبقات الاسبانية الفقيرة، وهذا يعني أنهم من عامة الناس أي العوام Comunero، كما أطلق عليهم هذا المصطلح لأنهم قاموا بتشكيل كومونيداد Comunidad وهي كلمة اسبانية تعني مدينة ذات حكم ذاتي (تقسيم أرض صغير يتم تشكيله بعد الثورة ليصبح نواة لمدينة حرة مستقلة عن الحكومة أو الملك للمزيد ينظر:

Stephen Haliczer, The Comuneros of Castile : The Forging of A Revolution 1475-1521, Madison, 1981, P.8

78 R.Tyler, The Emperor Charles V, London, 1956, P.35 ..

79 John Lynch, Monarquia E Imperio: El Reinado De Carlos V1 (Pais: 2007) P.113

٨٠ عملة نقدية ذهبية تساوي مليون مرابطي أو مرابيدي Maravedi وهو عملة نقدية إسبانية نحاسية سُكت في عهد المرابطين في المغرب العربي، وتساوي حوالي ١٣٠٠ باوند أسترليني في القرن السادس عشر وأن سبب اختلاف العملات النقدية الإسبانية من منطقة إلى أخرى هو تعدد اقتصاديات تلك الأقاليم من مملكة أرغون واستورياس شمالاً وحتى الأندلس جنوباً ومن فالنسيا شرقاً

حتى قشتالة والبرتغال غرباً، فضلاًعن تعدد السلطات التي تتولى سك النقود من أمراء أقطاع ونبلاء وملوك وأساقفة ، للمزيد ينظر : فلاح حسن عبدا لحسين، " أسواق رأس المال في أوربا العصور الوسطى المتأخرة وعصر النهضة (ميكانيكية التحويلات المصرفية) : دراسة في أصول الرأسمالية الأوربية، المؤرخ العربي،مجلة تصدرعن الأمانة العامة لأتحاد المؤرخين العرب/ بغداد،العدد ٢٦،السنة ١٢، ١٩٨٥،ص ٦٨.

. ٨١H.G Koenigsberger,The Empire of Charles V1 in Europe in G.R.Elton (ed.), The New Cambridge Modern Histor y, Vol. II. The Reformation 15201559,(Cambridge:1958) P. 306

.٨٢

Helen Nader, Liberty in Absolutist Spain 1516-1700,(Baltimore: 1990) P.66

.٨ ٣

Hare, AGreat Emperor Charles V1, P.59-60

٨٤. تشمل ممتلكات الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عهد لإمبراطور شارل الخامس: النمسا وبوهيميا والمجر (هنغاريا) والتيرول وسيتريا وكارنثيا وكارنيولا والراين وبراندنبرغ في ألمانيا وبورغندي وايطاليا (صقلية ونابولي وسردينيا وميلان) والأراضي المنخفضة التي تتالف من سبعة عشر مقاطعة اهمها (بلجيكا، هولندا،لوكسمبرغ، الفلاندرز، سويسرا) ، ولم تكن لهذه الإمبراطورية حكومة مركزية تفرض سلطانها على جميع أجزاء الإمبراطورية والإدارة العامة موحدة تشرف عليها، فكان لكل بلد عاداته وقوانينه ومؤسساته ونظام حكمه دون أن يكون هناك أي شبه بين بل وآخر أو رابطة تربط بينهم سوى شخص الإمبراطور فكانت سلطة الإمبراطورية شكلية بسبب تنامي سلطة الأمراء المحليين وحتى الأراضي المنخفضة كانت كل مقاطعة فيها وحدة سياسية متكاملة على الرغم من وجود ادارة مركزية ونظام تمثيلي لجميع المقاطعات، بينما إمارة بورغندي التابعة لها كان لها نظيم سياسي منفصل للمزيد من التفاصيل، ينظر:

محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية (١٥٠٠-١٧٨٩)،
(بغداد، دار الجاحظ للطباعة والنشر، ١٩٨٢) ،ص ص ٢٢٨-٢٢٩

.٨٥

Karl Brandi, The Emperor Charles V, Trans. C. V. Gevoad (London: 1939) P.66

٨٦ . نقلاً عن ; محمد محمد صالح، المصدر السابق،ص ص ٢٢٦-٢٢٧

.٨٧

Jacqueton,G, La Politique Exterieur De Louise De Savoie Leur relations Diplomatique De La Francouit De LAngletrre Pendant La Captivit De Francois Ier(Paris:1892)PP.27-28

.٨٨

Jacqueton,G, La Politique Exterieur De Louise De Savoie Leu r relations Diplomatique De La Francouit De

LAngletrre Pendant La Captivit De Francois Ier(Paris:1892)P.27-28

٨٩. شاكرمصطفى، الأندلس في التاريخ (دمشق : منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٠) ص ١٥٦؛

Alonso de Santa Cruz , Cronica del Emperador Carlos V, Vol 1 (Madrid :1920) P.337

٩٠. Juan Garcia González, José Trenchs, Estudios de historia de Valencia (Universidad de Valencia: 1978) P.184-185

٩١

Juan Garcia,op.cit, P. 187

٩٢

La expulsión de los Moriscos del reino de Valencia (Fundación Bancaja : 1997)P P. 33-35

.٩٣

هو أبو عبد الله سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش التجيبي، الجذامي ولاءً، ملك شرقي الأندلس،ولد في بينيسكولا، كاستيلون عام ١١٢٤م من أسرة إسبانية اعتنقت الإسلام،ويعود أصلا لتسمية (ابن مردنيش) إلى (Martinez) المشتق من تسمية بيزنطية قديمة. ولد في مدينة بينيسكولا في الولاية الجديدة كاستيون دي لا بلانا (واد خص بشماليّ بلنسية في الشاطئ الشرقي لإسبانيا) اتخذ ابن مردنيش من مرسية عاصمةً له، فحظيت بعنايته واهتمامه،وانعمرت في زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس، وقد اهتم بجمع الصنَّاع لآلات الحروب وللبناء والترخيم واشتغل ببناء القصور العجيبة، والبساتين العظيمة، وربط نفسه بتحالفات مع القوّاد المجاورين له من الثوار على المرابطين، وصاهر بعضهم؛ ليزيد من نفوذه، ظهر في فترة انتقالية حرجة انهار فيها حكم المرابطين للأندلس، إذ بدأت تزداد الغارات الإسبانية والاعتداءات على الأراضي الخاضعة لسلطان المرابطين، وبدأ الموحدون يباشرون استعداداتهم للدخول في المعركة الفاصلة ضد المرابطين المقصرين في الذود عن أراضي الأمة، للمزيد من التفاصيل ينظر:

https://ar.wikipedia.org:

.٩٤

Juan Garcia González, op.cit ,P.192.

.٩٥

Paulino Iradiel , Los mudéjares valencianos y peninsular , (Valencia : 2002) P.171

ينظر للقصيدة بشكل كامل في كتاب أزهار الرياض ، للمقري ، ج٣ ، ص ٢٠٧

.٩٦

Rafael Benítez Sánchez , Entre tierra y fe Los musulmanes en el reino cristiano de Valencia (1238-1609) (Ohio University: 2009) P.197 .

.٩٨

Martin A.S Hume , Spain its Greatness and De cay (1479-1788) second edition (Cambridge : 1899) P.76-77

.٩٩

Stephen Haliczer , inquisition and society in the kingdom of Valencia 1478-1834 (university of California: 1990) P.246

.١٠٠

Martin A.S Hume ,op.cit,P 8 2

١٠١

Rafael Benítez Sánchez

١٠٢. برنارد انطونيودومنغيث ، ، انطونيو دومنغيث اورتيث ، بيرنارد فانسون ، تاريخ الموريسكيين حياة وماساه وأقلية ، ترجمة محمد بنيايه ، مراجعة زينب بنيايه (الإمارات العربية المتحدة : هيئة أبو ظبي الثقافية ، ٢٠١٣) ، ص ١٦٧

١٠٣.

Thomas, Op. Cit., P.522

١٠٤ .

Vlloa, Op. Cit., P.129

١٠٥.

Mout, Op. Cit., P.115

١٠٦.

وهو ملك إسبانيا (١٥٥٦-١٥٩٨) ولد في بلد الوليد في إسبانيا عام ١٥٢٧ ،كان لثقافة وحياة البلاط تأثير مهم في حياته المبكرة ١٥٦٣ و ١٥٨٤، نقل عاصمة البلاط لملكي من طليطلة إلى مدريد في ١٥٦١م ، توفي عام ١٥٩٨ ، للمزيد ينظر :

Maetin A.S Hume, Philip II of Spain (London) P.128

١٠٧.

Rady, Op. Cit., P.197

١٠٨.

Ibid , P.198

١٠٩.

. Pierre Viler , Spain A brief history (New york)P.28

١١٠.

Maetin A.S Hume , op. cit , P.187

Summary

During the fifteenth century AD, the Islamic state of Granada underwent political events that made the preservation of its existence lasting nearly two and a half centuries (1237-1492) difficult, especially the treaties that the Spanish resorted to when their military attempts to control the Islamic territories in Granada failed and the competition between the aspirants In the rule of the country and the rebellion against power on the other

The geographical location had a clear effect on the relationship of the Sultanate to the neighboring regions, bordered by the north of Castile, from the west by Portugal, from the south by the Moroccan state of Beni Marin and from the east by Araguan, which affected in one way or another its foreign policy.

After the seizure of Granada and the elimination of the last Islamic state in Andalusia in 1492, orders were issued to generalize the content of the extradition treaty to the princes, ministers, leaders, monks and parish, and issued a decree threatening anyone who dares to prejudice the provisions of this treaty. The decree was signed by the two kings. On items that guaranteed the freedom, language, religious rites, customs and traditions of Muslims, except for carrying weapons. The situation of Muslims worsened in Granada after the arrival of Khomeini as head of the bishop of Granada, to be directly responsible for the missionary groups that were working to convert Muslims. In his first attempts he followed the style of softness and temptation.

It was natural in such circumstances to begin to think of the revolution in response to these heinous acts was the revolution of Bayazin in 1499, the first revolutions by Muslims to express their rejection of the policy of Khomeins and his men, which was followed by subsequent revolutions .

When Charles I assumed Spain's rule, Spanish foreign policy took on new dimensions stemming from three main factors: - the amount of property he inherited from his fathers and forefathers; the conflict with France over Italian property; and the problem of Ottoman expansion in Europe and North Africa. On September 29, Emperor Charles V signed 40 royal decrees abolishing or ending the exploitation of the Moriscans. This was followed by a period of relative calm for 30 years in which the Moriscans and Christians lived according to the rules

established in 1526. The Christians became more adherent to Islam and its customs, and their moderation did not achieve anything to them. The gap between them became deeper with the end of those years.